ISSN:2170-0060
EISSN: 2602-523X
ص ص 25-44

مساهمة العلامة أبو القاسم سعد الله في تحقيق التراث التاريخي المخطوط من خلال بعض مقالات مجلة الثقافة

Contribution of the mark Abu Qasim Saad Allah in the achievement of the historical heritage manuscript Through some culture magazine articles.

أ.د/ طاعة سعد

جامعة معسكر –الجزائر

saad.taa@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/03/07	2019/05/16	2019/06/15

الملخص:

شهدت الجزائر عبر تاريخها الطويل بروز شخصيات ورجال كان لهم صيت ودور كبير في كتابة هذا التاريخ وساهموا مساهمة فعالة في العلم والثقافة وإحياء التراث ، شاركت هذه الشخصيات الوطنية مشاركة مهمة في إثراء الإنتاج الفكري والثقافي في الجزائر ،ومن أبرز هؤلاء أبو القاسم سعد الله ، الذي ساهم مساهمة فعالة في إحياء التراث الوطني المخطوط وكان مناراً للعلم والتاريخ والأدب في جزائر الثورة والاستقلال ، اشتغل كثيرا على إبراز قيمة وأهمية ما تركه الأسلاف والأجداد من إنتاج ثقافي خاصة المخطوطات التي حقق منها الكثير ، وقد نشر بعض ما حققه من تراث على شكل مقالات في مجلة الثقافة حيث وهب العلامة نفسه للعلم والفكر وكان هدفه نشر الثقافة وتاريخها خاصة في الجزائر ،وقد ظهر نشاطه الفكري من خلال تحقيق كثير من المؤلفات التي تركها الأسلاف وبرزت عبقريته في ذلك.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات؛ الثقافة؛ تحقيق التراث؛ الإبداع؛ أعلام الفكر؛ الإنتاج الثقافي.

Abstract:

Throughout its long history, Algeria has witnessed the emergence of personalities and men who had a great reputation in writing this history and contributed effectively to science, culture and the revival of heritage. These national figures played an important role in enriching intellectual and cultural production in Algeria. Who has contributed effectively to the revival of the national heritage manuscript and was a beacon of science, history and literature in the islands of revolution and independence, has worked so much to highlight the value and importance of what left ancestors and grandparents of cultural production, especially manuscripts, which achieved a lot, and published some of his heritage in the form Articles in the Journal of Culture, where he gave the same mark for science and thought and was the goal of the dissemination of culture and history, especially in Algeria, has emerged intellectual activity through the investigation of many of the literature left by the ancestors and emerged genius in it.

Keywords: manuscripts; culture; heritage; creativity; flags of thought; cultural production.

مقدمة:

شهدت الجزائر عبر تاريخها الطويل بروز شخصيات ورجال كان لهم صيت ودور كبير في كتابة هذا التاريخ وساهموا مساهمة فعالة في العلم والثقافة وإحياء التراث ، شاركت هذه الشخصيات الوطنية مشاركة مهمة في إثراء الإنتاج الفكري والثقافي في الجزائر ،ومن أبرز هؤلاء الرجال الذين أنجبتهم الجزائر في حقل الإبداع والفكر والأدب والتاريخ وبدون منازع العلامة الأديب والشاعر وشيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله السوفي ،فهو مناراً للعلم والتاريخ والأدب في جزائر الثورة والاستقلال اشتغل كثيرا على

إبراز قيمة وأهمية ما تركه الأسلاف والأجداد من إنتاج ثقافي خاصة المخطوطات التي حقق منها الكثير .

يعتبر أبو القاسم سعد الله من المؤلفين الذين أرخوا ودونوا لتاريخ الجزائر الثقافي والتراثي والسياسي، وتحديداً في تاريخها الحديث والمعاصر، ولم يبخل بجهده التعليمي والتدريسي في الجامعة الجزائرية في تخريج الكثير من الإطارات والكوادر المثقفة ، ومن خصائص فكره أن له إسهامات كثيرة وواضحة ومتنوعة . فكان يغني مؤلفاته وكتاباته بمصادر هامة التي تشرح الأحداث وتبسطها للقارئ، وهذه المصادر هي أحيانا عبارة عن مخطوطات تعتبر بوابة فكرية لجل الباحثين تُعبد وتُنير لهم الطريق في مجال البحث. أما بحثه فيتميز بالجدية يعتمد على المنهجية العلمية ،وبذلك ساهم في تأسيس مدرسة خاصة به تعتمد شروط البحث العلمي، وأسلوبه من خلال الإنتاج الفكري الذي تركه يتسم بالوضوح وحرية الرأي والجدية في البحث ،لذا يعتبر شيخ المؤرخين منارة علمية للجيل الحالي من الباحثين ،وقدوة لمواصلة المسيرة العلمية والتفاني والإخلاص لها.

إن الباحث والقارئ والمطلع سيجد نفسه أمام ثروة فكرية غزيرة ،تحوي كم هائل من المعلومات والأحكام ،وتفسير الحوادث التاريخية وحتى الأدبية بتحكم علمي واقتدار،فعلمه قدمه بعمل جاد دون تعب أو ملل أو كلل، يظهر ذلك في الكم الكبير من المؤلفات ،ومنها تحقيقه لكثير من المخطوطات جاءت في شكل كتب أو مقالات أصدرها في مجلات منها مجلة الثقافة. فشيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله مؤرخ متحرر ليس متعصب لفكرة، يحب لغته العربية فدافع عنها وكتب بها وألف في التاريخ والأدب واحتكم إلى الوثائق التي هي على شكل مخطوطات والتي لا يجدها إلا بعد جهد وعناء، وبذلك كان بحثه محايد وموضوعي ، فكرس حياته لغاية العلم والفكر.

كان العلامة أبو القاسم سعد الله وطنياً مخلصاً لوطنه وهو عن نفسه يقول: " اعتنقت أنا الفكرة القومية والوطنية منذ البلوغ الجسمي والنضج السياسي، أي منذ بداية الخمسينات ، فوقفنا منذ ذلك الحين ضد استعمار بلادنا وتطلعنا إلى عهد من الحرية والاستقلال ،وكان ذلك في معناه الواسع جزءاً من حركة قوامها التحرير الوطني، بل جزءاً من حركة عالمية ضد التسلط والسيطرة والاستقلال"[1]. ومن الخصال الحميدة الأُخرى التي يتمتع بها الرجل أنه لم يكن أنانياً ،بل من أولئك الذين يريدون فتح الباب لجميع الباحثين المخلصين، الذين يتمتعون بإرادة وصبر وتتوفر فيهم شروط البحث حتى يخوضوا في شأنه ، كما أنه لم يقل عن نفسه أنه يدرك الحقيقة الكاملة ،بل ترك مجال الفكر مفتوح شريطة الوصول إلى هذا الحقيقة ،ظهر هذا من خلال تحقيق الكثير من المخطوطات والتي ظهر البعض منها على شكل مقالات في مجلة الثقافة . وهو عن نفسه يقول: " إن مواصلة الاطلاع على ما تصدره المطابع عن الحركة الوطنية الجزائرية ، ليست عملية سهلة ولكنها ضرورية ،ذلك أن المعلومات تقابل بعضها وتصحح وتتجدد وتتضح ،ونكاد نقول أن ليس في التاريخ معلومات قاطعة أو نهائية ،وعلى الباحث أن يظل يترصد هذه المعلومات ويصحح بها تأليفه مادام على قيد الحياة "[2].

وهب العلامة نفسه للعلم والفكر ،وكان هدفه نشر الثقافة وتاريخها خاصة في الجزائر ،كما كان همه الوحيد القارئ وكيف تصل إليه المعلومة ،وهو في ذلك يقول :" إن الهدف من نشر هذه الأبحاث هو إتاحة الفرصة للقراء الذين يهمهم أمر المسلمين في مختلف أنحاء العالم ،مثل أند ونسيا ، تركيا أو الذين يهمهم صراع الشرق والغرب في القديم والحديث ، أو الذين يهمهم صراع الإيديولوجيات المعاصرة ليطلعوا أو يقارنوا ويستفيدوا في عالم

كان وما يزال يتدافع ويتنازع من أجل البقاء "[3]. هذه خصال قليل من كثير فيما ذُكر فيه، وكما عرفه زملاءه الأساتذة والباحثين وطلبته .

التعريف بالعلامة : روى الباحث عاشور شرفي في كتابه القاموس البيوغرافي عن شخصية العلامة فكتب: "أبو القاسم سعد الله ولد خلال 1930م بمنطقة القمار بالوادي، مؤرخ وشاعر ، حفظ القرآن الكريم منذ صغره التحق بالكتاتيب ،ثم انتقل إلى الزيتونة سنة 1947م وتحصل على شهادة التحصيل Tahçil، وفي سنة 1954م عاد إلى الجزائر واشتغل كمدرس في مدرسة للعربية بالحراش،ومنها انتقل إلى القاهرة سنة 1955م والتحق بجامعة العلوم وتحصل على شهادة الماجستير في الأدب العربي والعلوم الإنسانية سنة 1962م ، استفاد من منحة مالية مقدمة من قبل جبهة التحرير الوطني لاستكمال دراسته بالولايات المتحدة الأمريكية ،تحصل بها على دكتوراه في التاريخ سنة 1965م ،ومنها التحق بجامعة الجزائر ودرس فيها " [4].

أما الجانب الآخر في شخصية العلامة والذي أخذ جزء كبير من حياته، التأليف والنشر ،وبهذا الصدد قال عنه زميل الدرب العالم والشيخ الفاضل ناصر الدين سعيدوني ما يلي" استهل سعد الله حياته الثقافية وهو طالب علم ومعرفة ،بكتابة الشعر وكانت باكورة أعماله اثنتي عشرة قصيدة كتبها مابين 1954م-1956م تُؤلف ديوانه الصغير (النصر للجزائر) ،ليصل رصيده الشعري إلى خمس وعشرين قصيدة مابين 1954م-1960م جمعها في ديوانه (ثائر حب) ،أما الخطوة الثانية نحو الكتابة والتأليف فكانت رسالته للماجستير التي حضرها بدار العلوم بالقاهرة في موضوع (محمد العيد آل الخليفة رائد الشعر الجزائري الحديث) سنة 1962م، بمثابة الارتباط الحقيقي بدراسة الأدب ومعالجة قضاياه ،وسبقها في ذلك بكتابته لعدة مقالات نشرت في جرائد ودوريات لما كان طالباً بالزيتونة " [5].

وكانت النقلة النوعية في حياة العلامة ، تحديداً في فن الكتابة هو انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،وهي محطة مهمة زادت في قوة شخصية الرجل حيث كتب سعيدوني في ذلك :" سوف يجد سعد الله نفسه بفعل ظروف الدراسة الجامعية بجامعة مينيسوتا الأمريكية وبتأثير المد التحرري والزخم الثوري الذي أفرزته الثورة الجزائرية، يتحول من معالجة قضايا الأدب إلى بحث مسائل التاريخ ،فكانت دراسته حول الحركة الوطنية الجزائرية منذ 1963م، وكان كتابه تاريخ الحركة الوطنية وهو ترجمة لأطروحته بالانجليزية سنة 1969م / ومحاضرات في تاريخ الجزائر الحديث التي صدرت بالقاهرة 1969م ،بداية جهد مثمر في مجال البحث والتأليف ،ثم كتابه آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر 1978م" [(6)]. ونظراً لدور التكوين فيه فإن العلامة أبو القاسم سعد الله لم يتخل عن ميولا ته الأدبية ،وظل وفياً لها في معظم كتاباته ومؤلفاته،ظهر ذلك من خلال مقالات مجلة الثقافة وغيرها من الكتب والأبحاث وتحقيق المخطوطات ،وأشهر ما كتبه في ذلك دراسة حول الأديب الشاذلي القسنطيني 1974م ،والمفتي ابن العنابي 1977م، وشيخ الإسلام ابن الفكون 1986م . إضافة إلى ذلك أبحاث متعددة تاريخية وأدبية، منها موسوعته التي جاءت في أجزاء، تاريخ الجزائر الثقافي في العهد العثماني 1985م، تجارب في الأدب والرحلة 1984م، ولم يتوقف إنتاجه الفكري إلى هذا الحد بل واصله بكتابه منطلقات فكرية 1982م، وأفكار جامحة 1988م، وقضايا شائكة 1989م ، وهموم حضارية 1993م ، وكتاب آخر عنوانه شعوب وقوميات 1985م ، ثم محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث 1982م ، كما ترجم الكثير من المؤلفات منها الجزائر وأوربا 1500م- 1830م لكاتبه الأمريكي جون وولف سنة 1986م، ومقالات أخرى في مجلة الأصالة ، والمصادر التي يصدرها المركز الوطني للبحث والدراسات في الحركة الوطنية

وثورة أول نوفمبر 1954م.ومنه يمكن أن نخرج ببعض المميزات والخصائص التي ميزت العلامة أبو القاسم سعد الله ومنها :

أ/ يعتبر العلامة والشيخ الفاضل متعدد ومتنوع المواهب فقد كتب في الشعر والنثر والثقافة والتاريخ كما حقق الكثير من المخطوطات.

ب/ بدأ حياته الفكرية كناقل وسارد وعارض للأحداث الأدبية والتاريخية، لينتقل إلى مرحلة الإبداع والإنتاج الفكري، وامتلك رأياً حراً في القضايا التي كان يطرحها للنقاش ويدرسها.

ج/ صاحب مبادئ من خلال دفاعه المستميت عن الدين الإسلامي واللغة العربية يظهر ذلك في جل كتاباته.

د/ يتميز شيخ المؤرخين بغزارة إنتاجه الفكري فسيرته الذاتية مليئة بالانجازات الأدبية والتاريخية .

التعريف بمجلة الثقافة: هي مجلة جزائرية قلمها وخط سيرها عربي أصيل، بدأ أول ظهور لها في مارس 1971م أشـــرفت عليها من خلال التمويل المادي وزارة الإعلام والثقافة، ثم وزارة السياحة والثقافة ،وفي نهاية التسعينات من القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة أشرفت عليها وزارة الاتصال والثقافة.

كما تعاقب على رئاسة التحرير فيها مجموعة من المفكرين والأدباء أمثال صالح خرفي ،حنفي بن عيسى ،ومحمد ناصر، وعثمان شبوب وغيرهم.وأصدرتها دور طبع مختلفة منها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وفي بداية الأمر كانت الفكرة أن تكون شهرية ولكنها وحرصاً منها على الاستمرار وتحسباً للظروف فإنها آثرت أن تصدر مرة في كل شهرين بمعدل ستة أعداد خلال السنة، وكان للعلامة أبو القاسم سعد الله شرف الكتابة في أول عدد صدر بهذه المجلة وذلك من خلال تحقيق مخطوط (كتاب حكاية العشاق في الحب والاشتياق).

أما شخصية هذه المجلة وفلسفتها وخط سيرها ،فشرحه وزير الإعلام والثقافة آنذاك أحمد طالب الإبراهيمي في افتتاحية أول عدد وجاء كما يلي " تكتسب هذه المجلة التي عزمت وزارة الثقافة والإعلام على إصدارها شخصيتها من أمرين ،اسمها الذي اختارته حين رأت أن تكون الثقافة عنواناً لها ترتاده وتقتبس منه وتسير في ظلاله ،والفترة الزمنية التي تصدر فيها وهي هذه الفترة التي تبدأ فيها الجزائر وثبتها الثقافية وثورتها ضد كل مظاهر التخلف ،وتسعى إلى مواكبة التقدم ومسايرة ركب الحضارة . إن صدور هذه المجلة عن وزارة الإعلام والثقافة لا يعني أنها مجلة لها لون ثقافي معين ، إن الالتزام الذي يشدها هو التزامها ووفاءها للوطن الجزائري وثورته وفكره وأجياله ولمثقفيه بصفة خاصة ، وحين تختار هذه المجلة أن تكون العربية لغتها، فذلك إيماناً منها بأن هذه اللغة الوطنية هي أداة التفكير المنتج ووسيلة ،وهي ماضي الجزائر وحاضرها ومستقبلها وقدرها. ومن هنا فإن اختيار اللغة العربية لغة لهذه المجلة،هو عمل في صميم الاتجاهات الوطنية التي أخذت بها الجزائر والمبادئ التي اختارتها، وسبب من أسباب التواصل بين الجزائر وبين البلاد العربية الشقيقة " [(7)].

أرادت الجهة الوصية مع بعض المفكرين والأدباء في تلك الفترة، أن يجعلوا من هذه المجلة قيمة فكرية وثقافية، وهذا ما أبرزه أحمد طالب الإبراهيمي في الافتتاحية للعدد الأول بقوله:" حين اعتزمت وزارة الإعلام والثقافة على إصدار هذه المجلة، فإنها لم تفعل ذلك على سبيل العمل التقليدي لتضيف إلى المجلات الجزائرية أو العربية رقماً جديداً ،أو زيادة عددية ،وإنما هي تفعل ذلك في نطاق حركة الاستقلالية الثورية التي بدأتها منذ بدأت مقارعة الاستعمار، وذلك لسببين: 1- نفعل ذلك في نطاق الحركة الاستقلالية لأنها كانت حريصة على استقلالها الثقافي. 2- نفعل ذلك في نطاق حركتها

الثورية وفي إطار تكامل الثورة السياسية والصناعية والثقافية"[8]. أخيراً يمكن القول أن المجلة منذ ظهورها، ظل شيخ المؤرخين دائم الحضور فيها ،والسبب الجوهري في ذلك، أن هذه المجلة كانت تمجد اللغة العربية والعلامة شغوف ومحب للغته، مما دفعه للكتابة المستمرة فيها .

جرد المخطوطات من خلال بعض المقالات الصادرة في المجلة: يمكن جرد بعض المخطوطات الصادرة في مجلة الثقافة ،والتي كانت بقلم العلامة أبو القاسم سعد الله ولعب دور مهم في البحث عنها ثم تحقيقها تنوعت ما بين مخطوطات أدبية وتاريخية يمكن للباحث أن يستنبط منها الطريقة التي استخدمها في تحقيقها وأهميتها ومنها :

عنوان المقال	السنة	العدد	تاريخ صدور المقال	طابعه	الصفحات
إحياء التراث : "كتاب حكاية العشاق في الحب والاشتياق"	الأولى	1	محرم 1391ه- مارس 1971م	أدبي	من ص26 إلى ص38
عنابة في رحلة الأمير الألماني موسكاو	السابعة	38	ج الأولى1397ه - ماي 1977م	تاريخي	من ص29 إلى ص 36
قصيدة في رثاء المفتي الكبابطي	الثامنة	44	ر.ث 1398ه-أفريل 1978م	أدبي	من ص 97 إلى ص100
أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري	التاسعة	49	صفر 1399ه- فيفري 1979م	أدبي	من ص35 إلى ص43
(أعلام الأحبار) مقامة لأحمد البوني	العاشرة	58	رمضان 1400ه- جويلية 1980م	أدبي	من ص35 إلى ص43
دفتر محكمة المدية أواخر العهد العثماني 1821 م- 1839 م	الرابعة عشرة	81	رمضان1404ه- ماي 1984	تاريخي	من ص 141 إلى ص 164
خطبة ابن الموهوب عند توليته الفتوى بقسنطينة سنة 1908م	الرابعة عشرة	84	ر أ 1405ه- ديسمبر 1984م	تاريخي	من ص 167 إلى ص 173
يا شمس : شعر محمد الطاهر التليلي القماري	الخامسة عشرة	88	ذو القعدة 1405ه- أوت 1985م	أدبي	من ص193 إلى ص195
من رسائل علماء الجزائر في القرن الماضي ، رسائل المفتي مصطفى القديري	السابعة عشرة	97	ج ث 1407ه- فيفري 1987م	تاريخي	من ص 103 إلى ص 114
مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903م	العشرون	107-108	مارس – أفريل 1995م	الثقافة والتراث	من ص 101 إلى ص 106

مضمون هذه المخطوطات:

1- كتاب حكاية العشاق في الحب والاشتياق ، مقال صدر في العدد الأول يتكون من 12 صفحة ،حاول أبو القاسم سعد الله من خلاله استخراج كنوز الجزائر الأدبية ، في فترة صعبة مرت بها البلاد ونعني ذلك وجود الاحتلال الفرنسي ،كما أن هذه الفترة يرى فيها الكثير من المفكرين ومن بينهم الفرنسيين أنها فترة جمود فكري ولا أثر هناك للإبداع ،لذا وجدنا العلامة يميط اللثام على هذا الكنز القيم ويبدي رأيه فيه، والكتاب عبارة عن مخطوط حققه العلامة وعنوانه الكامل " حكاية العشاق في الحب والاشتياق ،وما جرى لابن الملك الشائع مع زهرة الأنس بنت التاجر " وهو من تأليف محمد بن إبراهيم بن مصطفى باشا ،الذي كتبه في مدينة الجزائر سنة 1266ه الموافق ل 1849م والكتاب عبارة عن قصة تروي مغامرات عاطفية ،جرت بين فتاة جميلة من طبقة عالية وأمير شاب من أسرة أحد ديات الجزائر ،جمع المؤلف في مؤلفه بين الأسلوب الفصيح والشعر الملحون وزاد هذا المخطوط بعدما حققه العلامة أبو القاسم سعد الله إضافة حقيقية للإنتاج الأدبي في الجزائر.

2- عنابة في رحلة الأمير الألماني موسكاو ، مقال ترجم فيه العلامة هذه الرحلة في سبع صفحات وهو عبارة عن مخطوط ترجمه ويعتبر من أهم الدراسات المنوغرافية التي تبرز أهمية ودور المدن الجزائرية في التاريخ ،حيث قام شيخ المؤرخين وعن طريق الترجمة إيصال المعلومات إلى القارئ وهي وسيلة من وسائل فكره كما أنها تزيد في إنتاجه ورصيده الثقافي ، فامتلاك اللغة ضروري لتوسيع مجال الفكر، وفي هذا المقال شرح كيف قام الأمير بوكلر موسكاو بزيارة إلى الجزائر سنة 1835م ، تجول في بعض مدنها خاصة مدينة عنابة، ثم واصل رحلته إلى تونس ولما عاد إلى بلاده كتب رحلته في ثلاثة

أجزاء، وصف فيها المدن التي زارها ،وخلال مدة قصيرة نفذت طبعتها الأولى فأعاد طبعتها سنة 1837م ويعتبر هذا المخطوط من أهم الدراسات التي اهتمت بأدب الرحلة .

3- قصيدة في رثاء المفتي الكبابطي[12] ، مخطوط تناول قصيدة حللها الباحث والأديب أبو القاسم سعد الله بمقال جاء في ثلاث صفحات ،حاول العلامة إبراز ما كتبه الآخرون من غير الجزائريين حول الجانب التاريخي أو الأدبي أو التراثي والديني للجزائر ،حتى ولو كان ذلك من خلال قصيدة ،فلم يقف أبو القاسم سعد الله عند سرد الأحداث واستعراض الصور الأدبية والأغراض الشعرية الأخرى من خلال ما وجده في هذا المخطوط ، ولم يتوقف العلامة عند حدود التراث وعرض قضايا الأدب والشعر ،بل انتقل إلى مكانة المفكر بنقده، وكملخص لهذا المخطوط الذي حققه نجد أن الفرنسيون سنة 1843م حكموا بالنفي من الجزائر على مفتي المالكية مصطفى الكبابطي، لمعارضة ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة الفرنسية ،رحل في إحدى البواخر إلى الإسكندرية عن طريق مرسيلية وقضى بقية عمره هناك إلى أن وفته المنية سنة 1860م، وقاد البحث العلامة أبو القاسم سعد الله إلى العثور على قصيدة في رثاء الكبابطي ، نظمها أحد تلاميذه المشارقة وهو الشاعر محمد عاقل ،صاحب ديوان (لسان الشباب) والقصيدة تقع في 28 بيتاً ،وكان الشاعر قد ألقى هذه القصيدة على جثمان شيخه المسجى يوم وفاته في 21 شعبان سنة 1277ه الموافق لسنة 1860م ومطلع هذه القصيدة : هذا أمام الوقت مالك وقته * * مفتي الجزائر مصطفى بحر الوفا .

4- أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري[13]، هذا يعتبر من أشهر المخطوطات التي عثر عليها شيخ المؤرخين ،المقال في ثماني صفحات من خلاله حقق أبو القاسم سعد الله مخطوط لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري

،الذي عاش خلال الفترة العثمانية تحديداً خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي، ففي الشعر قدم العلامة الأغراض الشعرية التي اهتم بها ابن حمادوش كالغزل والنسيب والمراثي ومدح المصطفى(ص)، ففي المقامة الأولى التي وصف فيها حالته النفسية عندما كان في المغرب، والمقامة الثانية وصف فيها بشكل رمزي حالته بين الناس وخسارة تجارته ودنو أجله، والمقامة فن من الفنون الأدبية التي اهتم بها العلامة من خلال هذا المخطوط الذي اجتهد في البحث عنه.

5- (أعلام الأحبار) مقامة لأحمد البوني، هذا المقال جاء في ثمان صفحات من خلاله حقق أبو القاسم سعد الله هذا المخطوط الذي وجده في الجامع الكبير بالبر واقية بالمدية أوائل السبعينات، وموضوعه وهو كذلك في فن أدب المقامات ،وبرز فكر العلامة كثيرا في هذا المجال، حيث حاول أن يعطي صورة لمساهمة المقامة في الكتابة الأدبية أو التاريخية ، والمقامات نوع أدبي حاول العلامة من خلاله تسليط الضوء على رجالات وعلماء الجزائر ،خلال الفترة العثمانية وعلاقة هؤلاء بالسلطة الحاكمة ،وفي هذه المقامة التي عنوانها أعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار مؤلفها أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني ،والذي ولد في عنابة سنة 1063ه من أسرة توارثت العلم والتصوف فأبوه وجده وابنه وبعض أقاربه ،كلهم سلكوا هذا الطريق وقد قرأ هو بعنابة وتونس ومصر والحجاز ،وله مؤلفات عديدة تجاوزت حسب دعواه المائة توفي في عنابة سنة 1139ه ،وجه المقامة إلى صديقه الشيخ مصطفى العنابي الذي كان عند ئذ في مدينة الجزائر وهو من العلماء ،شكا فيها من أزمة حلت به وبصديقه في عنابة جراء وشاية البعض بهما إلى الباشا، فاستنجد بصديقه العنابي ليتدخل في صالحه لدى السلطان، ذلك أن بعض العلماء من خصوم البوني ومفتي عنابة ، سعوا ضدهما لدى الباشا فصدق هذه الوشاية وعزل

المفتي وأساء إلى البوني ،وبعد حيرة وتردد وبحث عن النصير خطر للبوني أن يلجأ إلى صديقه العنابي الذي كان يعرفه في عنابة، وفي سياق المقامة عرض البوني أفكاره فالديباجة عبارة عن وعظ ،ثم المتن فيه شكوى من ضيق الحال، فأخبار الوشاية، ثم الاستنجاد بالعنابي لتصحيح الأمور، فالخاتمة وكان كل مرة شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله يذيل تحقيقه للمخطوط بحواشي للحفاظ على الجانب العلمي والمنهجي في التحليل.

6- دفتر محكمة المدية أواخر العهد العثماني 1821 م- 1839 م، شمل المقال حوالي 23 صفحة ، كان اعتماد شيخ المؤرخين على الوثائق لكتابة التاريخ عاملاً مهماً في إيصال الحقيقة إلى بر الأمان ،فالمخطوطات كانت من بين أهم المصادر الأساسية التي بني عليها فكره ،خاصة في الفترة العثمانية وغيرها من مراحل تاريخ الجزائر. حقق العلامة هذا المخطوط الذي جاء في شكل دفتر به 43 ورقة ،بعضها ليس فيها إلا كتابات قليلة وبعضها مكدس بالكتابة وترقيم الصفحات بالأرقام العربية ، حيث وجد فيه أسماء من كانوا يوقعون وينقلون الأحكام الصادرة عن القضاة ، وهذا الدفتر ينقسم إلى قسمين كبيرين ،قسم الأحوال الشخصية وأخبار القضاة وقضايا البيع والشراء والعقود والمنازعات وأمور العتق والدية ،والقسم الثاني عسكري يتعلق بعهد الأمير ومدى مساهمة المدية وأهلها في المجهود الحربي .ونظراً للصلة بين آخر عهد العثمانيين وعهد الأمير في المدية، فإن شيخ المؤرخين ركز على تحليل المرحلة الانتقالية من خلال الأخبار الواردة في هذا الدفتر وعن التحولات التي طرأت على المدينة في الفترة الانتقالية ،مثل تعيين قضاة الأمير وتبديل الموازين وانتشار العملة الجديدة والأخبار العسكرية وغيرها ويعطينا هذا المخطوط الذي حققه العلامة صورة عامة عن وضع الجزائر في عهد الحكم

العثماني خاصة الفترة الأخيرة في جوانب كثيرة سياسية واقتصادية وعسكرية وقضائية. .

7- خطبة ابن الموهوب عند توليته الفتوى بقسنطينة سنة 1908م، جاء تحقيق هذا المخطوط في ست صفحات ،حيث عرف العلامة أبو القاسم سعد الله الشيخ المولود بن الموهوب بأنه من أعيان مدينة قسنطينة ،عاش في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين ،كان مدرساً وفقيهاً ومفتياً وخطيباً وشاعراً، ولد حوالي 1866م تعلم بالطريقة التقليدية وكان محمد الشاذلي القسنطيني و عبد القادر المجاوي من شيوخه بالمدرسة الكتانية الرسمية ثم أصبح هو من شيوخ هذه المدرسة ، ومن معاصريه البارزين حمدان بن الونيسي وصالح بن مهنا ،ولابن موهوب تلاميذ أبرزهم عبد الحميد بن باديس الذي حضر بعض دروسه في الجامع الكبير ولعله تأثر بأفكاره الإصلاحية ،ولما صار جونار والي عام على الجزائر 1903م-1913م أصبح أبن الموهوب مفتي الديار القسنطينية سنة 1908م. ثم ينتقل شيخ المؤرخين في شرح نص الخطبة وهي عبارة عن مخطوط والتي عثر عليها ضمن أوراقه التي آلت إلى إحدى الجهات بمدينة قسنطينة وهي مكتوبة بخط يده في أربع صفحات من النوع النصفي، وخطه فيها تبدو عليه السرعة ولكنه خط واضح وبحبر أسود وعلى ظهر إحدى الورقات عبارة بقلم الرصاص هي " خطابي حين أجلست مفتياً "،والخطبة كلها نص واحد متواصل إلا فقرة واحدة الأخيرة هي مفصولة ،وفي مضمونها يدعو المسلمين إلى اليقظة والإقبال على التعليم وتقليد جيرانهم الأوروبيين ونبذ التعصب والجهل والتباغض وأخيراً الدفاع عن المسلمين وفي هذا التحقيق أمدنا شيخ المؤرخين بدراسة بيوغرافية قيمة عن الشيخ المولود بن الموهوب.

8- يا شمس : شعر محمد الطاهر التليلي القماري، حقق المخطوط في مقال من خلال صفحتين برهن من خلالهما أنه شغوف بحبه للشعر وحسه المرهف وذوقه المميز الذي لا حدود له ،ويثبت كذلك أن فكر أبو القاسم سعد الله لم يكن فكراً أُحادياً بل متعدد الأفكار والمواهب ، فقصيدة يا شمس لصاحبها محمد الطاهر التليلي التي نظمها في بداية الستينات وفضل هذا الشاعر كما يذكر العلامة أن يظل شعره حبيس دفتي مخطوط كما سجن هو نفسه بين أربعة جدران ،فلا يرى الناس ولا يرونه ،وهذه القصيدة من الشعر الرمزي الذي يصعب على القارئ إدراك مغزاه، لكن من الملاحظ في هذا المقال أن أبو القاسم سعد الله عرض القصيدة دون نقد حتى يترك ذلك للمختصين من جهة ومن جهة أخرى إحياء التراث الجزائري الموجود في ربوع الوطن.

9- من رسائل علماء الجزائر في القرن الماضي ، رسائل المفتي مصطفى القديري ، هذه الرسائل التي جاءت في شكل مخطوط حققه شيخ المؤرخين على شكل مقال في مجلة الثقافة يتكون من إحدى عشرة صفحة، فالبحث هنا انصب على الاهتمام بالجانب الثقافي للجزائر خلال المرحلة الاستعمارية و،كأن العلامة أراد أن يبين من خلال هذه الرسائل الوضع الثقافي مع بداية الاحتلال ويؤرخ لهذه الفترة العصيبة . هذه الرسائل الصادرة عن الشيخ مصطفى القديري الذي تولى المالكية سنة 1259ه (1843م) في مكان الشيخ مصطفى الكبابطي، وظل في هذا المنصب إلى أن تولى بدله الشيخ حميدة العمالي سنة 1273ه (1856م) .كان الشيخ القديري طاعناً في السن لما وافق وزير الحربية الفرنسية على انتخاب القديري لهذا المنصب في 26 يوليو 1843م وعين ابنه عوناً له ، والرسائل المنسوبة إلى الشيخ ليست كثيرة فهي لا تعدو الأربع ،وهي رسائل قصيرة وإدارية جداً ولا تدل على أسلوب عربي

مبين ولا على اطلاع واسع في أحوال الناس ،ولا على فلسفة ومواقف سياسية ونحوها ،ولعل هذه الرسائل أهمية خاصة من الناحية التاريخية إذ تحتوي على معلومات تلقى أضواء على بعض العائلات الدينية وعلاقتها بالسلطة الاستعمارية، وعلى بعض الأفراد وتنقلاتهم داخل الوطن وخارجه من تولي وظائف أو هجرة أو وفاة ،كما تلقي نظرة على نوعية الوظائف المخصصة لرجال الدين ، هذا المخطوط الذي هو في شكل رسائل يعتبر إضافة حقيقية تدخل في اهتمامات شيخ المؤرخين بالتاريخ الثقافي للجزائر .

10- مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903م، هذا المخطوط يعتبر من المصادر الأصلية حققه في خمس صفحات اهتم فيه العلامة بالتراث الجزائري المتنوع والمتعدد ،وهو مجال آخر لفكر أبو القاسم سعد الله يعبر عن الاطلاع الواسع على المخطوطات التي تتوفر عليها الجزائر ، والتي لم تصلها يد الاستعمار وبذل أبو القاسم سعد الله جهدا كبيراً في البحث عنها ،وينقل العلامة باسم موتيلانسكي أنه (كثيراً ما عبر لي أستاذي وصديقي رينيه باسيه r.basset عن أسفه لعدم لقائه أثناء جولاته اللغوية في الجزائر أحد الأهالي المتكلمين باللهجة البربرية الغدامسية ،كما كان يظهر لي أهمية الأعمال الضرورية التي قام بها قرابيرغ دي هيمسو وريتشادسون عن هذه اللهجة البربرية الغدامسية ،التي تعد حسب المعطيات الأولية التي جمعت حولها نماذج صوتية خصوصية مثيرة للفضول ،وقد بحثت بدون جدوى عن مخبر في مدينة قسنطينة ولكن علمت سنة 1900م عن طريق أحد تلامذتي وهو أصيل سوف ،أن تاجراً من غدامس اسمه محمد بن عثمان الغدامسي ،كان يأتي إلى الوادي في كثير من المرات حيث يقضي بضعة أشهر للتجارة .) ثم راح شيخ المؤرخين يسرد على لسان موتيلانسكي أطوار هذه الرحلة.

الطريقة التي استخدمها شيخ المؤرخين في تحقيق هذه المخطوطات :

1- اعتمد المؤرخ أبو القاسم سعد الله في تحقيق هذه المخطوطات على منهج علمي واضح من خلال تحليل الوقائع التاريخية والأدبية ويصورها بمنهج علمي صرف، ثم يبدي رأيه في ذلك ،وأحياناً أخرى يقوم بالسرد والعرض حسب ما توفر لديه واستجابة للمادة العلمية والمصادر المطروحة أمامه، ولكن أضاف إلى هذا السرد حواشي " وهذه الحواشي مكنت من التمييز بين الرواية التاريخية وبين الوثائق التي تستند إليها، ومن الإحالة إلى المصادر ومن إيضاح النص وإبرازه" [(18)] .وهذه من شروط البحث العلمي وتؤكد أن فكر الرجل ناضج واعي بما يدور حوله ،وكان همه في ذلك كله كيف تصل هذه المعلومة إلى القارئ بشروط علمية صحيحة ويتأكد من صحتها .

2- ساهم العلامة أبو القاسم سعد الله مساهمة فعالة من خلال تحقيقه لعدد من المخطوطات التي تعب في البحث عنها في إثراء إنتاجه الأدبي والتاريخي، وبدا ذلك واضحاً من خلال اللغة العربية التي سخرها تسخيراً جميلاً ومبدعاً في كتاباته هذا الإنتاج الذي جاء بأسلوب قوي، رصين، وواضح .

3- ظهرت عبقرية العلامة أبو القاسم سعد الله في انتهاج طريق علمي صحيح يعتمد على الموضوعية ،فالمخطوطات التي حققها لم يظهر في متنها على الإطلاق ذاتيته ، حيث خاض في دراسة هذه المخطوطات المتنوعة الأغراض وعرض الحالة الأدبية أو التاريخية أو الفكرية كما هي وأبدى رأيه علميا في ذلك .

4- حاول شيخ المؤرخين أن يجرد التاريخ من القصة أو الرواية وهذا ما أراد أن يستخلصه من هذه المخطوطات ،فهو بذلك أسس للجزائر مدرسة تقوم على الجانب العلمي في تفسير التاريخ ، ومن ثمة انطبق عليه قول فوستيل دي كولانج « التاريخ علم، إنه لا يتخيل إنه يرى فقط ،وهو كغيره من

العلوم قوامه الكشف عن حقيقة الوقائع ثم تحليلها ودرس التقارب فيما بينها" (19)

5- لم يقف أبو القاسم سعد الله عند سرد الأحداث ، واستعراض الصور الأدبية والتاريخية لما وجده من مخطوطات، ولم يتوقف عند حدود التراث وعرض قضايا التاريخ ،بل انتقل إلى مكانة المفكر والأديب والمؤرخ صاحب الرأي الحر ،وصاحب الانتماء الواضح يحس ويشعر بقضايا وطنه وحال أمته.

6- حاول أبو القاسم سعد الله الأديب، إحياء آثار الرجال الذين ساهموا في النهضة الوطنية وخدمة الأدب بالخصوص، من خلال إظهار نشاطهم الفكري والثقافي، سواء في فترة الدولة العثمانية، أو فترة الاحتلال الفرنسي، وهذا من خلال المخطوطات التي حققها ونشرها في شكل كتب أو مقالات.

خاتمة :

يعتبر العلامة أبو القاسم سعد الله من أهم الكتاب والمؤرخين الذين بذلوا جهد كبير في البحث عن الكنوز الضائعة داخل الجزائر أو خارجها والممثلة في المخطوطات كما لعب دور مهم في إحياء التراث الوطني ورسم لنفسه طريق ومنهج علمي خاص به لتحقيق هذه المخطوطات وكان السباق في ذلك وهو باحث يقدر البحث وفق شروطه العلمية ،ومثالاً يحتذي به في البحث والعلم والدراسة والتنقيب عن هذه الكنوز ،كما أنه من المفكرين الجزائريين القلائل الذين تركوا رصيداً ثقافياً يمتاز بالمنهجية العلمية الدقيقة ، فهو يكتب وفق منطوق ومفهوم الوثائق مع الأخذ بالاعتبار جميع معطيات القضية التي يعالجها وهو الذي تجسد فعلاً من خلال المخطوطات التي حققها وعالجها ووضعها في شكل مقالات بمجلة الثقافة.

ISSN:2170-0060
EISSN: 2602-523X
ص ص 25-44

الملحق :

حقق العلامة أبو القاسم سعد الله مخطوطات أخرى وردت في مجلة الثقافة وهي كالآتي :

- عالم المخطوطات ، شعر الشاذلي القسنطيني وشاعريته ، السنة الثانية، العدد إحدى عشر ، بتاريخ رمضان 1392ه/ نوفمبر1972م من الصفحة 75 إلى الصفحة 85.

- قصيدة خطية لابن ميمون الجزائري ، السنة الثالثة ، العدد الخامس عشر ، بتاريخ جمادي الأولى – جمادي الثانية 1393ه/ جوان – جويلية 1973م من الصفحة 37 إلى الصفحة 42.

- من ديوان الدموع السوداء : وداع كتاب شعر ، محمد الطاهر التليلي ، السنة العاشرة ، العدد55، بتاريخ ربيع الأول 1400ه/ فيفري 1980م ، من الصفحة 09 إلى الصفحة 25.

- الشاعر المفتي محمد بن الشاهد واحتلال الجزائر ،السنة الحادية عشرة ، العدد 61، بتاريخ صفر- ربيع الأول 1401ه/ يناير – فيفري 1981م ، من الصفحة 11 إلى الصفحة 18.

الهوامش:

1- أبو القاسم سعد الله ،شعوب وقوميات . الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م.ص8

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثاني 1900-1930.الطبعة الثالثة ،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983م.ص6

3- أبو القاسم سعد الله،شعوب وقوميات ،المرجع السابق .ص10

4- ACHOUR cheurfi, Mémoire Algérienne, Dictionnaire Biographique, Alger, éditions Dahlab1996,PP 712-713

5- سعيدوني ناصر الدين ، أبو القاسم سعد الله ، كلمة وفاء ،الجزائر . البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ. ص14

6- سعيدوني ناصر الدين، نفسه .ص16

7- الإبراهيمي أحمد طالب :« افتتاحية العدد الأول لمجلة الثقافة » **الثقافة** ، العدد الأول ، محرم 1391ه الموافق ل مارس 1971م ، الجزائر .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .ص1-2

8- الإبراهيمي أحمد طالب ، نفسه. ص3

10- ينظر النسخة الأصلية لكتاب محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، لصاحبه أبو القاسم سعد الله ، دار المعارف المصرية 1961م ،يتكون من 240ص.

11- طُبع الكتاب على مرتين في تونس ،تحت عنوان منطلقات فكرية وقامت الدار العربية للكتاب بتونس بطبعه، المرة الأولى سنة 1976م ثم الثانية سنة 1982م.

12- ينظر محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) لأبي القاسم سعدا لله ، الطبعة الثالثة ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982م . ص115

13- ينظر كتاب رحلات ومذكرات ، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة : لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال تأليف عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1983م ،يتكون من 366 صفحة.

14- حول تاريخ الزواوة ،ينظر كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء الثاني ،الصفحة 216 ، لصاحبه مبارك بن محمد الميلي ،تقديم وتصحيح محمد الميلي ،الجزائر .المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م.

15- ينظر كتاب الطاهر أوصديق ، ثورة 1871م ترجمة جباح مسعود ، الجزائر .المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م، يتكون من 155 صفحة .

16- فيه دراسات أخرى حول دور الطلبة خلال الحركة الوطنية والثورة الجزائرية ، كالدراسة التي قدمها حمادي عبد الله بعنوان "الحركة الطلابية الجزائرية مابين 1871م -1962م " ،ط2 ، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد1995م ودراسة أخرى قدمها عبد القادر نور " شاهد على الحركة الطلابية أثناء الثورة 1954م-1962 ، الجزائر ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع 2010م.

17- من المؤلفين الأمريكيين الذين كتبوا حول الجزائر جون بابتست وولف درّس العلامة لما كان في جامعة منيسوتا سنة 1961م لديه هذا الكتاب، الجزائر وأوروبا ، تأليف جون ب وولف ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986م، يتكون من 508صفحة .

18- أنجلو أوسينوس وآخرون ، النقد التاريخي ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ،ط4 ، الكويت دار المطبوعات 1981م .ص234

19- جوزف هورسن ، قيمة التاريخ ، ترجمة نسيم نصر ، الطبعة الثانية، لبنان ، منشورات عويدات بيروت 1982م. ص65